القدس في رواية (فَرَس العائلة) لمحمود شقير مِنْ منظور النَّقد الاجتماعيّ

د. أماني سليمان داود*

تاريخ وصول البحث: 2024/1/20م تاريخ قبول البحث: 2024/3/31م

الملخص

تجتهد هذه الدراسةُ في الكشف عن تَجلّياتِ حضور مدينة القدس قُبَيْلَ نكبةِ عام (1948)، كما صَوَّرَها الأديبُ الفلسطينيّ محمود شقير في رواية (فرس العائلة) مِنْ خلال بنيةٍ سرديةٍ مُضادةٍ لسرديةِ الاحتلال؛ تقوم على استحضارِ عشيرةٍ بدويةٍ متخيَّلةٍ تسكنُ قُربَ القدس؛ تَعرِضُ الروايةُ لاشتباكها بهذه المدينة وتحوُّلات أفرادها - بتأثيرٍ منها- على مستوياتِ حياتهم؛ الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية والسلوكية، وقد أفاد الروائيُّ لترسيمِها مِنْ تجربته وموروثه التاريخي والاجتماعي والثقافي باعتبارها جميعها خلفيةً مرجعيةً أساسيةً لطروحاتِهِ الروائية.

وتَعمَدُ الدراسةُ - مِنْ مَنحىً مَنهجيٍّ- إلى مقاربة الروايةِ مقاربةً نقديةً اجتماعية، عَبْر تتبُّعِ مَسارِ تحوّلاتٍ حَتميةٍ مُتنوعةٍ على المكان واكبَتْها تَحولاتٌ على مستوى الشخصيات، مما يُمَكِّن مِنْ تَلَمُّسِ تَمثيلاتِ الأدبِ للمجتمعِ بطبقاته وأحواله وتحوُّلاته المختلفة، بوصفِ الأدب تجلياً للحياة في مستواها الجماعي.

الكلمات المفتاحية: مدينة القدس، رواية "فرس العائلة"، محمود شقير، النقد الاجتماعي.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البترا.

.

Jerusalem in The Novel (The Family Horse) by Mahmoud Shuqair from The Perspective of Social Criticism

Abstract

This study strives to reveal the manifestations of the presence of the city of Jerusalem before the Nakba of 1948, as depicted by the Palestinian writer Mahmoud Shuqair in the novel (The Family Horse) through a narrative structure that opposes the narrative of the occupation. It is based on evoking an imagined Bedouin tribe living near Jerusalem. The novel presents its engagement with this city and the transformations of its individuals - under its influence - on their levels of life. Social, political, intellectual, economic, and behavioral. The novelist drew on his experience and historical, social, and cultural heritage to delineate them, as all of them are a basic reference background for his novelistic proposals.

The study intends - from a methodological aspect - to read the novel with a social critical approach, by tracing the path of various inevitable transformations in the place, accompanied by transformations at the level of the characters, which makes it possible to sense literary representations of society with its various classes, conditions, and transformations, by describing literature as a manifestation of life at its collective level.

Keywords: The city of Jerusalem, the novel "The Family Horse," Mahmoud Shuqair, social criticism.

المقدمة:

ارتبطت الرواية الحديثة بالمدينة بمعناها الواسع، وعُدّ جنس الرواية وليدها وابنها الشرعي، وقد انشغلت بعض الروايات بمدن محددة اكتسبت سياقاتُها التاريخية والحضارية جاذبيةً خاصة للكتابة عنها بوصفها متناً وموضوعاً مركزياً مهيمِناً، وكذلك فإن الرواية العربية اكتسبت "معمارها الفنيّ الخاص بمدى احتفائها بالمكان – المدينة وتاريخ هذا المكان عند الغوص في دقائق وعي الإنسان المنتمي إليه، فرداً وعدداً، وتفاصيل الروابط النفسية والاجتماعية"[1]، وقد شغلتْ مدينةُ القدس حيّزاً واسعاً من هموم الرواية العربية التي طافتْ وما تزال في كثير من القضايا العربية بشكل عام وبالقضية العربية المركزية/ قضية فلسطين بشكل خاص، وصُوِّرَتْ القدسُ في روايات عديدة بما ترمز إليه من دلالات تتوزع بين دينية وقومية وحضارية وإنسانية وثقافية وتاريخية واجتماعية، وقد أنتجت الذائقةُ الإبداعيةُ العربيةُ على اختلاف رؤى أصحابها عدداً كبيراً من الروايات التي أبرزت في منحى من مناحيها جانباً من مدينة القدس بوصفها مكاناً أثيراً بدا خلفيةً مكانيةً لأحداث تلك الروايات، أو فضاءً وحيّزاً لشخوصها وحركتهم وتفاعلهم الحياتي الاجتماعي، أو بوصفها دلالةً تاريخيةً دينيةً ومرجعيةً سياسيةً لشخوصها.

وإن كان الباحث يؤمن بأنه لم يُنجَز حتى الآن من الروايات ما يوازي حجم المدينة وثقلها الحضاري، وما يرقى سردياً وجمالياً لمقاربة السردية والجمالية الواقعية للقدس، إلا أنه يحتفي بكل ما يُراكم ويسند حقَّ هذه المدينة بالإضاءة والتصدير والإعلان عنها مدينةً ذاتَ بعد لا يمكن عند الكتابة عنها تحييد خصوصيتها أو العواطفِ والانفعالات المحايثة لها. حين نقارب روايةً عن القدس فإن حواسّ المتلقي تتحفّز على نحو خاص يتأتّى من الدلالات والمحمولات والرموز المختلفة التي تنطوي عليها هذه المدينة، فَعَيْنُ المتلقي في هذه الحالة عَيْنٌ مُحبَّة وقلقة وعاتبة وناقدة ومترصّدة في آن واحد لكل تفصيل فيها، وكل مفردة أو شخصية أو مكان أو حدث في فضاء الرواية تغدو علامة سردية يبحث المتلقي فيها عما تنتجه من دلالات وما تمثّله للثقافة الإنسانية.

وتأتي رواية (فرس العائلة) للأديب الفلسطيني محمود شقير الذي انتمى إلى القدس قلباً وعقلاً وهُويةً لتُمَثِّلَ شكلاً من أشكال السرد الذي تبنّى القدسَ مرجعيةً ترنو أبطالُ الرواية وشخصياتُها إليها، وتحلم للتداخل مع هذه المدينة الحقيقية العامرة بالناس، والانتماء إليها، بما يجعلها سرديةً مواجهة لسرديات الاحتلال التي تنتج في سياق السَّعي إلى تهويد القدس وترسيم صورةٍ كاذبةٍ لفلسطينَ مُفْرَغةٍ من أهلها تنتظر مَنْ يعمرها، وفي هذا يقول شقير: "يصبح من أبسط

واجبات الكاتب الفلسطيني التصدّي لهذا التزوير بتعزيز حضور المكان على نحو مقنع في النتاجات الأدبية الفلسطينية. ولكي يكون هذا التصدي ذا أثر أكيد، فلابدّ من عدم الاكتفاء بذكر المقدسات الموجودة في المكان، وغير ذلك من عمارة ومن آثار في القدس وفي غيرها من المدن والقرى الفلسطينية، بل التأكيد على ذكر الناس الذين عمروا ويعمرون المكان"[2].

ويمكن بذلك أن تنطوي (فرس العائلة) تحت مِظلّة الروايات العربية التي تشكل سرديّات تدخل "في علاقة طباقية مع سرديات مضادة، انصبّ همُّها على نَفْيِ الوجودِ الفلسطيني قبل عام (1948)، وعملت دون توقف على تشويه التاريخ والجغرافيا، واختلاق الحجج الزائفة، لتحقيق نواياها الخبيثة، بما في ذلك تكثيف الحديث حول بلاد قاحلة، واختلاق الحجج التي بثّتها أدبيات صهيونية، تركن إلى أوهام وأخيلة؛ هدفها التدليل على أن القدس وطن لليهود، ضيّعه المسلمون الأغراب واحتلّوه، ولابد من العودة إلى أرض الآباء والأجداد"[3]، فـ (فرس العائلة) تقدم عالماً روائياً يحفل بالشخصيات المتحركة من أجيال مختلفة، عاكسة الواقع البشري الذي كان يتحرك في المكان الفلسطيني – القدس على وجه التحديد - ويتفاعل معه، ويمارس فيه حياته الاجتماعية وطقوسه وعاداته وتقاليده بانتماء نفسي انفعالي للمكان واحتفاء به وحبّ له وتعالق خاص به، بما يذكّر بمحاولة غاستون باشلار تحديد "القيمة الإنسانية للمكان الذي يمكننا الإمساك به، ويمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية، أي المكان الذي نحب، وهو مكان ممتدح لأسباب متعددة، ...، إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيّز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثّف الوجودَ في حدود تتّسم بالحماية"[4].

ولعل (فرس العائلة) في هذا السياق تنجح في تقديم سيرة متخيلة لعائلة بدوية ممتدة تقيم في البرية على مقربة من القدس منتمية في مرجعياتها إلى مفردات الصحراء وعاداتها وتقاليدها، تنتقل فيما بعد للعيش على حوافّ القدس متحوّلة إلى ما يشبه الحياة الريفية، لتقترب فيما بعد من المدينة محاولةً الاشتباكَ مع تفاصيلها، في صور متنوعة متباينة متناقضة تنعكس فيها تحوّلات المجتمعات وتبدّلاتِ الأجيال فيها - اعتماداً على سياقاتها وشروطها التاريخية - تبدلاتٍ في الاجتماع والسياسة والسلوك والتفكير والثقافة والمنظور العام للحياة والمستقبل، ما يخلق عالماً موّاراً يتوزّع أناسُه في كل ما يستجد حولهم في الحياة بين قابلٍ ورافض، ورائقٍ وغاضب، ومتقدمٍ ومتخلّف، ومؤثِّر ومتأثِّر، وفاعلٍ وساكن. وعبر ذلك يمكن رسم ملامح مدينة القدس الاجتماعية

وتمثّلها إبّان ذلك المَوار الإنساني بملامح تقترب من واقعيتها، مع الاحتفاظ بفكرة أن العمل الروائي يقدم بالدرجة الأولى متخيَّلاً سردياً للمكان وسكّانه لا تصويراً مطابقاً له، وهو وإن تفاعل مع متعلقاته السياقية التاريخية إلا أنه يحتفظ بكونه إبداعاً، لذا يمكن اعتبارُ الروايةِ "حصيلةَ عمليةٍ واعية، تمّت في عقل المبدع، ومَكْمَن أحاسيسه أو وجدانه؛ لتحيط بالواقع، والحلم، والعالم، في سبيلها للاقتراب من ملحمة النضال الإنساني الشامل الذي نتطلع إليه" [5]، وليست ترسيماً لمناطقَ حدوديةٍ تفصل العمل الإبداعي عن التاريخ؛ إذ إنّ "الحدود بين الفنّ والتاريخ ليست حدوداً صارمة مانعة، إنما هي حدودٌ متداخلة، بحيث تحسبها حدوداً وهمية في بعض الأحيان"[6]، فالرواية "لا تقصّ الواقع بل الوجود، والوجود ليس ما جرى، بل حقل الإمكانيات الإنسانية، كل ما يمكن أنْ يَصِيرَهُ، وكل ما هو قادر عليه" [7].

ويمكن رصد كل ذلك عبر تأمل تفاصيل الحياة التي يسردها الروائي محمود شقير لعائلة العبد اللات واشتباكاتها الداخلية والخارجية إبان الحكم التركي أولاً ثم مع عسكر الإنجليز أثناء الانتداب البريطاني ومن ثم مع العصابات الصهيونية التي كانت تتحضّر للإعلان عن وجودها مع اقتراب النكبة، كما تضيء مساحة رحبة من اشتباك هذه العائلة مع ملامح الحداثة ومظاهر الانفتاح، وتعالقها مع المكان الجديد (القدس ومشارفها) والقديم الذي مثَّل منبعها ومركز انطلاقها، بما استبطنه المكان من ذاكرةٍ تتصل بالأساطير والميثولوجيا والمأثورات الشعبية وتاريخ النضال والصراع، بما يحفظ للمكان الفلسطيني هُويته، ويحول دون المساس به رغم كل ما يتعرض له من تهديد. ولعل هذه العائلة الممتدة التي اختارها الروائي لتلعب البطولة في تعالقها مع مدينة القدس تمثِّل بشكلٍ ما إحدى الصور المصغرة للمجتمع الفلسطيني الكبير.

تكشف الدراسة عن تجليات حضور عشيرة العبد اللات الاجتماعي وتعالقها مع مدينة القدس في المفردات المادية والبشرية والمكانية، فإضافة إلى كون القدس مركز جذب روحي للعالمين الإسلامي والمسيحي، فهي مناط عِراك وصراع منذ الحروب الصليبية، وحتى اللحظة الراهنة التي تشهد فيه استعماراً صهيونياً [8]، وقد تناولت الرواية صورة القدس ومشارفها بوصفها ثيمة أساسية تتعالق بها عناصر الرواية من شخوص وزمان ومكان وأحداث وتنطلق منها اقتراباً وابتعاداً، مقدمةً منظوراً اجتماعياً لها.

تتأمل الدراسة الرواية من منظور اجتماعي؛ ذلك أنّ "النقد الاجتماعي يفسّر نوعياً كيف أن الكتابة حدث ذو طبيعة اجتماعية" [9]، وركزت في هذا المنظور على كشف تحولات اجتماعية تَتَأتّى من خلال التفاعل والمعايشة الإنسانية لمدينة القدس والحراك الاجتماعي الدائب الذي

تجلّى بالتفاعل معها، ما يؤكد على الالتحام والتعالق الدائمين بين الإنسان والمكان، تمكّن الروائي من التعبير عنهما في روايته؛ فالأدب مرآة تعكس انتماءات الأديب وبيئته وظروفه المختلفة وعصره، فهو جزء من المجتمع وممثِّل له، والمجتمع هو "المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والفنية"[10]، والمنهج الاجتماعي هو أحد المناهج السياقية التي تقارب النصوص الأدبية من خارجها، مفيداً من المنهج التاريخي الذي "يعين على فهم البواعث والمؤثرات في نشأة الظواهر والتيارات الأدبية المرتبطة بالمجتمع، انطلاقاً من قاعدة (الإنسان ابن بيئته)" [11]، بل إن المنهج الاجتماعي قد انبثق في "حضن المنهج التاريخي، وتولَّدَ عنه، واستقى منطلقاته الأولى منه، ...، بمعنى أن المنطلق التاريخي كان هو التأسيس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي عبر محوَرَي الزمان والمكان؛ إذ يشفّ المحور الزماني عن إمكانية أن يرتبط التغير النوعي للأعمال الأدبية، بالتحولات التي تحدث في الحقب التاريخية المختلفة، وعبر اختلافات المكان – أيضاً – إذ إن لكل مكان زمانه وتاريخه وظروفه الخاصة" [12].

تعمد الدراسة إلى تتبّع مسارِ التحولاتِ الحتميةِ المتنوعة التي تجلّت في رواية (فرس العائلة) على المكان، التي واكبتها تحولاتٌ على مستوى الشخصيات. ولغايات إجرائية؛ تتوزّع دراسة رواية (فرس العائلة) على خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: القدس في منظور القاطنين خارجها.

المبحث الثاني: القدس بالمقارنة مع البَرِّيَّة.

المبحث الثالث: القدس مُلتقى الأديان.

المبحث الرابع: القدس مركز المَدَنِيّة والتقدم والحضارة.

المبحث الخامس: القدس زمن الانتداب البريطاني، والثورة وما بعدها، وظهور العصابات اليهودية.

وتنتهي الدراسة بمجموعة من الملاحظات النقدية العامة على الرواية وخاتمة.

المبحث الأول: القدس في منظور القاطنين خارجها:

تبدو مدينة القدس في تصور مَن يعيش على مبعدة منها، مكاناً للحياة الرغيدة، يستدعي الدهشة، وغِبْطة سكانها، كما تبدو مكان جذب، ومركزاً يسعى مَنْ في هامشها أو على مشارفها للانزواء تحتها على وَهْم الاستقرار والأمن.

فتصف الرواية ذلك من منظور بعض الشخصيات التي تعيش في البرية على مبعدة من القدس في بيئة وظروف معيشية مختلفة، إذ تتشكل الصورة لديهم حولها عن طريق ما يُنقل إليهم

ممن ذهبوا إلى القدس وشاهدوها أو اختلطوا بأهلها، فثمة ثقافة سمعية منقولة عن المدينة المحلوم بها، تتفق في مُتَخَيَّل شخصيات الرواية والصورة التي ترنو إليها وتتطلّع تلك الشخصيات إلى الوصول إليها، إذ لا يتمثل في مُتخيَّلهم سوى المنحى الإيجابي الجمالي، فهي مكان متشوَّق إليه محلوم به، مثلما يتمثل في المقطع التالي من الرواية: "...، دار بينهما حديث متقطع عن الرعي والأغنام، عن المطر والغيوم، عن الأماكن البعيدة التي تقع خلف الجبال، وعن النساء والرجال الذين يعيشون هناك حياة أكثر رغداً من حياتنا هنا. هذا ما يقوله الذاهبون إلى القدس لبيع الصوف وحليب الأغنام" [13]، إضافةً إلى تشكّلِ الصورةِ عبر المنقول نجدها تتشكل أحياناً من زيارة الشخصية ذاتها للقدس كما حصل مع مَهيرة على سبيل المثال؛ فقد: "بدت مهيرة مدهوشة مما ترى، وتمنت لو أنها تأتي إلى هذه المدينة مرة كل أسبوع أو كل شهر. وغبطت أهلها الذين يعيشون فيها، واعتقدت أن حياتهم أفضل من حياتها التي تحياها هي وعشيرتها في البرية" [14]، فالزيارات العابرة التي لا يتحقق معها التَّماس الواقعي مع المدينة من داخلها، تبقى زيارات أشبه بالسياحية لا تمنح فيها المدينةُ تفاصيلَها، بل صورتها الخارجية البهية.

ويتجلى تساؤلٌ هنا يتصل بمبررات الرغبة بالهجرة من البرية إلى مدينة القدس؟ فتُميط الرواية اللثام عن تلك المبررات؛ ومنها: نفاد القدرة على احتمال البرية بقسوتها وصعوبة طبيعتها وضيق الذرع فيها؛ ذلك أن المرء فيها أسير الطبيعة المهددة دوماً بالسيول والجراد وقلة الطعام وقلة الخدمات وقلة الأدوات الحديثة، فلم تعد الحياة بسيطة ما أكد ضرورة الرحيل [15]، وإنْ كان هذا الأمر قد استدعى تباين الآراء والاختلاف بين سكان البرية؛ فقد حدث انقسام بين فئتين: فئة راغبة بالرحيل وفئة غير راغبة، بل تبدو متعايشة مع قسوة البرية متقبّلة للصراع معها. لكن الموقف الثاني لا يطول حين يكون موقفاً فردياً؛ فالانضواء تحت قانون الجماعة يكفل الحماية والوقاية، يتمثل ذلك في عبد الجبار، إذ: "بقي عبد الجبار شهراً في البرية مع زوجتيه وأطفاله، ثم ما لبث أن جمع أمتعته والتحق بالعشيرة في مكان سكنها الجديد، ولم يقل لأحد إن مهيرة ظلت تضغط عليه بوسائل شتى ومن دون استفزاز، إلى أن وافق على الرحيل" [16]. فبعد أن كان مُحِبّاً للتجول في البرية؛ جبالها ووديانها وسهولها، ومصارعة وحوشها، اضطر للانضواء تحت مطلب الزوجة من جهة والجماعة من جهة ثانية.

ويمكن تأمل أسباب ومبررات الرحيل بين الراحلين من البرية إلى القدس كما تطرحها الرواية على النحو التالي:

أ. تبدو القدس مكاناً مُتشَوَّقاً للسكن فيه لأهميته الوظيفية فهي مَحَطّ التَطَلُّع لتحسين الوضع الاقتصادي، ورفع مستوى المعيشة ومحاولة الانتقال من ظَلَف العيش إلى الدَّعَة وفق ما يظنّ الراحلون إليها؛ ففيها يمكن تحقيق التجارة وتدعيمها، كما يمكن العمل في الورش وترك الأغنام، فمثلاً "عباس وعثمان لم يرفضا الرحيل، فالإقامة على مقربة من المدينة تتلاءم مع مزاج كل منهما وتلبي رغباتهما التي لطالما تحدثا عنها من دون مواربة أو تردد. عثمان راغب في توسيع تجارته وتدعيم حضورها في حياة العشيرة، وهو يعشقها كما لو أن فيها رسالة خاصة يسعى إلى جعلها في متناول الناس، وعباس جادٌّ في التخلي عن اقتناء الأغنام، وهو حائر حتى الآن بين العمل في الورش أو في التجارة، ولن يطول الوقت به حتى يقرر لنفسه أي عمل يختار" [17].

ب. كما تغدو غاية الانتقال إلى القدس عند آخرين متمثلة في حماية الممتلكات والحفاظ عليها من بطش اليهود المهاجرين واستيلائهم: "قال إن الانتقال إلى أرضهم التي تقع عند مشارف القدس أصبح مُلِحّاً كي لا يستولي عليها المهاجرون اليهود. قال: إحنا أحق بأرضنا منهم. قال إن بإمكان العشيرة حينما تشحّ مياه الأمطار الاعتماد على عين سلوان القريبة من القدس، وهي التي لا تنقطع مياهها صيف شتاء، ..." [18].

وفي هذا السياق تطرح الرواية جانباً من الصور التي تؤول إليها شخصياتُ الرواية الذين رحلوا إلى القدس، وما طرأ عليهم من تحولاتٍ على صعدٍ مختلفة، وتنوع أحوالهم النفسية بسببٍ منها، فتقدم وصفاً لأحوالهم بعد الرحيل والاستقرار قرب المدينة المقدسة؛ مما يشير إلى أن مدينة القدس مدينة حقيقية حيوية لها شخصيتها المكانية وعمقها الإنساني والفكري، كما يشير إلى مركزيتها كمدينة متماسكة البنى والمداميك، مَوّارة بالحياة بما فيها من عادات وطبقات اجتماعية وركائز اقتصادية وفكرية، ومدى ثقلها التأثيري على من يقترب منها ويعايشها، ويتماسّ معها ويشتبك مع تفاصيل الحياة اليومية فيها ويحتكّ بمفرداتها؛ إذ تضطره إلى التفاعل معها والتماهي بها إذا ما رغب بالانضواء تحت جناحها. كما تظهر مدينة القدس من الداخل ذات خصوصية في الملبس والمسكن والمأكل ومختلف تفاصيل الحياة.

تقدم الرواية مقاربة جلية للحياة داخل القدس من منظور عشيرة العبد اللات التي مثّلت مركز الحركيّة الاجتماعية في الرواية، وتتجلى في مجموعة من التحولات في حياة أفرادها وشخصياتهم ومواقفهم، ويمكن تأمل هذه التحولات على المستويات التالية:

1.التحول الوظيفي/ المهني:

ففي الوقت الذي واصل فيه بعض الرجال تربية الأغنام وبيع حليبها وصوفها في أسواق المدينة [19]، حدث عدد من التحولات الوظيفية لأبناء العشيرة (عشيرة العبد اللات)، على النحو التالي:

أ. تَحَوَّلَ عددٌ من أبناء العشيرة إلى العمل المأجور، "وبعضهم اعتاد هذا العمل قبل الرحيل إلى مشارف القدس بسنوات، حينما شرعت سلطات الانتداب ببناء مقرّ للمندوب السامي البريطاني على قمة جبل المكبر. جاء بعض أبناء العشيرة واشتغلوا عمّالاً بالأجرة في بناء المقر الذي صاروا يسمونه: قصر المندوب السامي" [20].

ب. تَحَوَّلَ قسمٌ آخر من أبناء العشيرة إلى الزراعة، إذ "صاروا يفلحون أرضهم كل أيام السنة، ولم يكتفوا بزراعة القمح والشعير، زرعوا أشجار الزيتون والعنب والتين والمشمس..." [21].

ج. فيما يتعلق بالنساء فقد حافظن على بعض مهنهن المتصلة بالنسيج، وأضفن عادات جديدة، حيث تشير الرواية إلى أن "النساء واصلن نسج البسط من خيطان الغزل المجدولة من صوف الأغنام، واقتنين الدجاج والبط والأرانب والحمام، واعتدن الذهاب إلى أسواق القدس لبيع البيض وأفراخ الحمام، ...، وازداد ترددهن على المدينة للبيع وللشراء، يشترين الحلويات والسكر والشاي وخيطان التطريز والأقمشة على أنواعها، تلك السوداء التي يفصلن منها أثواباً طويلة ويطرّزنها بخيطان مختلفة الألوان، وتلك الملونة الخفيفة التي يفصلن منها شلحات وسراويل"[22].

فنلمح لمسات جديدة قد انضافت إلى نسيجهن، واستُحدِثَتْ أنماطٌ من البيع والشراء البسيطة، كما اكتسبت أيامهن شيئاً من الحيوية والنشاط، فصرن أكثر فاعلية.

د. هناك فئة من الرجال تحوّلوا في وظائفهم من الرعي والزراعة إلى مهن ووظائف مرتبطة بالمدينة وأسواقها، "الرجال الذين لم تعد تستهويهم تربية الأغنام أو العمل في الزراعة تحولوا إلى سوق العمل في المدينة. اشتغلوا حمّالين وباعة وعمّالاً في المشاغل والشركات وفي المطاعم والفنادق والمقاهي،" [23].

2.التحوّل في السَّكن:

تأثَّر الراحلون من البرية إلى مشارف مدينة القدس بطريقة السكن؛ فهجروا الخيام وبنوا البيوت الحجرية، فقد كان الرحيل في البداية مقروناً بحمل نمط الحياة المَعيشيّ ذاته تقريباً؛ حيث العيش بالمضارب والخيام، ثم أخذت بيوتٌ حجرية متفرقة تظهر بعد ذلك للسكن وللمناسبات المختلفة، وغدت بيوت الشعر مجرد ذكريات، "تكاثرت البيوت وصار بعض ساكنيها يستذكرون حياتهم التي كانت في بيوت الشعر، كيف احتملوها؟ وكيف عاشوا فيها سنوات طويلة

في الحرّ والقرّ من دون تذمّر أو استنكاف؟ في حين ظل آخرون يتذكّرون بيوت الشعر باعتزاز حتى وهم يسكنون البيوت الحجرية" [24].

ورغم تململ البعض وعدم الرضا من نمط السكنى الجديد إلا أن الواقع بدا أقوى، إذ تأثر بعض أفراد عشيرة العبد اللات بمباني المدينة فعادوا إلى مضاربهم وبنوا بيوتاً حجرية على الجبال قرب القدس غدت فيما بعد قرية أسموها رأس النبع [25].

3.التحوّل إلى التعليم والانخراط في المدارس:

مع انتقال العشيرة إلى مشارف القدس بدأت تدرك أهمية العلم وجدواه وأخذت تتقبّل التعليم، وتتقبل إرسال أبنائها إلى المدارس، وأخذ ينشأ وعيٌ جديد يستدعي ضرورة أن ينخرط الجيل الجديد في التعليم، فلم يعد مقبولاً أن يظلّ أفراد العشيرة خارج الزمن الجديد، بدأ يطرأ تقبّلٌ لفكرة التعليم والتعلُّم ووجود مُعلِّم بينهم بالمقارنة مع الزمن الماضي حين قاوموا فيه الخطيب الذي جاء ليعلمهم وينيرهم فما توانوا عن (تطفيشه) بعيداً من غير رجعة. كما أرسلت بعض العائلات بناتها للتعلم مع الأولاد في نفس المدرسة لتعذّر إمكانية بناء مدرسة خاصة بهنّ.

"...، أسس الرجل واسمه عبد القادر مدرسته في مبنى استأجره من المختار عليها، قريباً من الساحة الرئيسة في راس النبع (أطلق الناس عليه لقب الخطيب ونادراً ما كانوا ينادونه باسمه الصريح)، وانتظم الأطفال في الدراسة. كانت تروقهم الدفاتر المسطَّرة التي كتبوا عليها، علّمهم الخطيب بعض الأناشيد الوطنية التي كتبها شعراء من فلسطين ومن بلدان عربية أخرى..." [26].

4.التحوّل في المظهر والفكر:

أثّرتْ بعضُ المهن على مظهر الرجال العاملين فيها، فقد "اضطرتهم ظروف العمل إلى تغيير أزيائهم البدوية، خلعوا القمباز والحطّة والعقال والعباءة وارتدوا البناطيل والقمصان والطرابيش، ولم يحدث هذا في وقت سريع، وإنما احتاج إلى سنوات" [27]. فنجد السكن في المدينة قد أدى إلى التحول الوظيفي – كما أُشير إليه سابقاً – الذي استدعى بدوره تحوّلاً في المظهر الخارجي؛ فقد أثر في الملبس كما أثر على السلوك [28]، وبدا أي تغيير في السلوك والرِّداء للوهلة الأولى تحدّياً للعائلة وتقاليدها؛ فقد ظهر شكلٌ من عدم التقبُّل لأي جديد وقُووِم في بادئ الأمر إلى أنْ غَدا أليفاً ومقبولاً، فهناك مِنَ الذين غادروا البرية مَنْ أخذوا يتغيرون بالتدريج بحكم الاحتكاك بأهل المدينة ذوي العادات والتقاليد المختلفة؛ فتأثروا في المسلك والمظهر والعادات

والتقاليد، وهناك ممن غادروا البرية مَنْ حملوا عاداتها وتقاليدها وتمسكوا بها، واعتبروا أيَّ خروج عليها خروجاً على قواعد الدين والقيم والشرف [29].

إلا أن الأهَمَّ من التحوُّل الخارجي في المظهر هو ذلك التحوّل الداخلي عند رجال العشيرة، الذي تمثَّل في أفكارهم وتوجهاتهم الإيديولوجية ورؤيتهم للحياة والبلاد حولهم، إذ بدأوا يتعرفون على ما في القدس من أحداث وأفكار اجتماعية ودينية وسياسية، وانخرط بعضهم في المجالس السياسية، ونهض وعيٌ جديد عند جزء منهم فراحوا ينطوون تحت مظلة الحركات الفكرية التي تعمل من أجل العدالة الاجتماعية والدفاع عن فقراء الناس [30]. لقد أثرت الأحداث السياسية على ثقافة الناس وموضوعات أحاديثهم، صار موضوع الحديث في المَضافة هو ما يجري في البلاد من ظلم عسكر الإنجليز والعصابات الصهيونية بعد أن كان شغلها الشاغل الهزل والمزاح والتعليق على جمال النساء وعلى أخبارهنّ [31]. ومنهم من التحق بالثوار وعانى ما يعانونه مثل يوسف الذي التحق بهم ومن ثم سجن في سجن عكا.

5.التحوّل في العادات والطقوس النسوية:

بدأت نساء البرية بالاختلاط بنساء مدينة القدس وتبادل الأحاديث والخبرات معهن، فابتدأن باكتساب بعض عادات نساء المدينة، كالذهاب إلى الحمّام العام الموجود في سوق القطّانين في القدس، وأخذن يتأثرن بهن فيما يتعلق بطريقة ارتداء الملابس وأنواع القماش والموديلات، فضلاً عن استخدامهن لأدوات الزينة والماكياج والعطور التي يشترينها من سوق العطارين في القدس، ما أثَّر في نوع الاستهلاك وقيم الجمال ومعاييره الجديدة لدى النساء؛ فتأثرن أولاً ثم أخذن بالتبدّل بما يتناسب مع طبيعة الحياة الجديدة ومتطلّباتها السلوكية ([32])، كما سرت الغيرة بينهن بما يدفع إلى العدوى وتقليد بعضهن لبعض؛ "كانت الغيرة تشتعل في قلوب نساء العائلة لأن جمال نجمة لا يجارى، وتزيدها جمالاً تلك الأصباغ التي تضعها على خديها، فقد اهتدت إلى الحانوت الذي يبيع القماش والأثواب والفساتين والملابس الداخلية والعطور ومساحيق الزينة للنساء، ..." [33]. من جانب آخر بدأت النساء يلاحظن الفروقات المعيشية وأساليب الحياة التي تختلف نساء مدينة القدس فيها عنهن في البرية، فمهيرة على سبيل المثال حين زارت القدس، وتأملت الحياة داخلها بعينِ مَنْ لم يعتد ما يرى ولم يألفه ملأها العجب والدهشة والاستنكار، فقد "رأت نساء مَدَنِيَّات بالفساتين التي تظهر من تحتها سيقانهنّ وتعجبت مما يرتدين، وتساءلت في سرها: يلبسن هذي الملابس وأزواجهنّ ما يغضبون! كيف؟ اشترت حلوى من بائع حلويات في باب خان الزيت يضع طربوشاً على رأسه، واشترت قماشاً ملوناً من بائع كهل في حارة النصارى..." [34]، فيتجلى هنا

اختلاف العادات والتقاليد والمعايير المتعلقة بالنساء ومنظور الرجال لهن واختلاف ذلك بين البيئتين، ودور هذه الثقافة الاجتماعية الجديدة في تغيير منظور المرأة البرية إلى نفسها من جهة وإلى الحياة حولها من جهة أخرى. فالقدس مدينة عامرة بالطبقات الاجتماعية المختلفة، وأشكال التجارة وتوزيعاتها في المدينة وحاراتها.

المبحث الثاني: القدس بالمقارنة مع البرية:

تبدو البرية في منظور جزء من أبطال الرواية مكاناً أكثر استقراراً وأماناً بالمقارنة مع مدينة القدس التي تبدو الحياة فيها مُقَلْقَلَة وتحت طائلة التهديد الدائم، والقلق السياسي والعسكري؛ ويمكن التمثيل على ذلك بـ (صبحاء) التي لم تبدُ مقتنعة بما قدمه ابنها من أسباب للرحيل؛ إذ رأت أن العيش قرب المدينة مشوب بمخاطر كثيرة، تجعل من البرية رغم قسوة بيئتها أكثر أمناً واستقراراً بالنسبة لها، "...، ففي البرية لم يتمكن الأتراك من التحكم في العشيرة، وفيها لا يأتي عسكر الإنجليز كل يوم إلى المضارب، ولا يأتي المهاجرون اليهود" (35).

نلحظ أن بعض الشخصيات في الرواية متطامنة مع المألوف قلقة تجاه التغيير، والتغيير عادةً ما يتطلب من المرء الجرأة والشجاعة لاستقبال المفاجآت التي تلازم الجديد في العادة، وفي الرواية شخصياتٌ تحب الاحتفاظ بما عرفته واعتادت عليه، ولا يشكل لها التغيير سوى الرهبة والخوف وتَشَوُّفِ السلبي وغير المُحَبَّذ. بالمقابل يقف الروائي عند تردد بعض الشخصيات النفسي وحيرتها؛ إذ يتبدل رأيها تجاه الرحيل رفضاً له حيناً ورغبة به حيناً آخر، مقيمة مقارنة بين مزايا الأمكنة المختلفة إيجاباً وسلباً؛ مثال ذلك مثيلة، إذ: "كانت مبلبلة الذهن تجاه الرحيل، تتحمس له لأن حياتها في البرية لم تكن تخلو من منغّصات، وفي الرحيل فرصة للنسيان، ثم تعود للتذمر منه، وترى أن العيش في البرية له مزايا لا يمكنها التفريط فيها. هنا الخلاء الفسيح والسهول والجبال..." (36).

كما تعود حيرة بعض الشخصيات وترددها في الرحيل أنها مسكونة بما تمنحه البرية من ذاكرةٍ عبر الحكايات التي تتشابك مع هذا المكان الحيّ المنفتح على فضاء واسع بالمقارنة مع المدينة التي تضيق بسكانها، وتبدو شكلاً من أشكال الحصار، يتمثل ذلك في عبد الجبار، إذ "... يتساءل الآن: كيف يمكنه مغادرة البرية والعيش بعيداً منها وهو على هذه الصلة الحية بها! ومن أين تأتيه الحكايات إذا ما غادر البرية وحشر نفسه في مكان محدود المساحة محاصر من كل الجهات،

هناك على مشارف القدس، رغم ما للقدس في نفسه من مكانة ومن تبجيل واحترام؟ ورغم حماسة مهيرة للرحيل، فإن عبد الجبار ظل يحاول إقناعها بالبقاء في البرية..." [37].

هذا ما يتعلق بالبرية؛ أما مدينة القدس فتظهر في الرواية بملامحها المكانية والديمغرافية العامة، حيث تقدم الرواية صورة التعالق بين المدينة وما حولها، فضلاً عن التشابك الحياتي والمهني والعملي، وتَذْكُر أماكن متعددة لمدينة القدس وما حولها؛ حاراتها وأحيائها وأبوابها وجبالها وأسواقها ومعالمها الدينية، وتذكِّر بما اعتيد تسميتها به، مما يعزّز بقاء هذه التسميات العربية في ذاكرة المتلقي وثباتها بوصفها تسميات عربية تقاوم كل محاولات الاستبدال والإحلال اللغوي، حيث تظهر بوصفها أماكن حية، عامرة بالسكان ودقائق الحياة اليومية، موّارة بالحياة والضجيج الإنساني، ما يبعد الفكرة التي سعى العدو وما يزال يحاول تكريسها بأنها أرض قاحلة بلا بشر أو حياة، فيورد الروائي في ثنايا روايته وصفاً لمناخ فلسطين وطبيعتها [38]، ووصفاً للقدس [39]. كما يذكر من أماكنها: عين سلوان، رأس النبع، مسجد عمر، القبر المقدس، سوق القطّانين (وفيه حمّام النساء)، سوق العطّارين، جبل الحَرَذان، باب الخليل، طريق الواد، حي الطالبية، باب المغاربة، باب الأسباط، حارة النصارى، حي القطمون، حارة السعدية، حي المصرارة، باب العمود، بركة السلطان، وغيرها. ومع ذلك فقد عمد الروائي إلى ربط الأمكنة بالإنسان من خلال تفاعل الأخير معها، ولم يتقصّد فَرْدَ صفحات من الوصف المنفصل المدقِق لها؛ إذ "إنّ جمالية الكتابة بعامة، وجمالية الكتابة الوصفية للحيّز بخاصة، تمثُلُ في الإيحاء والتكثيف، دون الإطناب والتفصيل، فكأنها تتكفل بقول نصف ما تريد قوله، وتترك النصف الآخر للمتلقي فيكتمل العمل، وتتشكل الجمالية" [40]، ذلك أن الروائي المتمكّن "هو الذي يستطيع أن يتعامل مع حيّزه تعاملاً بارعاً؛ فيتخذ منه إطاراً مادياً يستحضر من خلاله كل المشكلات السردية الأُخر مثل الشخصية، والحدث، والزمان، إنه خشبة مسرح واسعة تعرض الشخصيات من خلالها أهواءها، وهواجسها، ونوازعها، وعواطفها، وآمالها، وآلامها" [41]، وقد تمظهر ذلك جلياً في الرواية المدروسة.

المبحث الثالث: القدس ملتقى الأديان:

بَدَتْ مدينة القدس مكاناً متقبّلاً الشراكةَ، خالقاً نسيجاً بشرياً خاصاً، يتمثل فيما يلي:

أ.يُوسِع الروائي فسحةً في (فرس العائلة) للإضاءة على التنويع البشري والديني في مدينة القدس، إذ يقف عند تداخل الدينين الإسلامي والمسيحي في القدس، ويبدو تداخل الديانتين قبيل النكبة أمراً طبيعياً؛ إذ يمارس كل منهما الشعائر بطمأنينة وحرية واختيار من غير تقييد. ويرسم الروائي

مشهداً لروحانيات المدينة؛ ما يعطيها صورة من الانفتاح الفكري والعَقَدي، ويمنحها صورة موسعة بوصفها مدينة كبيرة وحاضنة لمختلف الثقافات، قادرة على تقبل المختلف والمغاير، كما يرسم صورة مبكرة عن تقدم مدينة القدس بوصفها مركزاً حضارياً ثقافياً دينياً غير مغلق ولا منكفئ على ذاته، فنقرأ في الرواية: "وبغض النظر عن ميله إلى العبث، فإن لعثمان مزاجاً مرهفاً اكتسبه من المدرسة التي التحق بها وهو طفل، وتعرف أثناءها على المدينة، وزار المسجد والكنيسة. هذا ما كان يقوله أقرب المقربين منه، حتى إنهم مالوا إلى القول إنه مسلم في النهار ومسيحي في الليل والعكس صحيح، ودليلهم الذي يؤكد صحة كلامهم: تردده على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة..." [42]. ومن الصور الاجتماعية التي تخلق تشابكاً بين أصحاب الديانتين في المدينة، ما يومئ به الروائي من جانب عاطفي وجداني متصل بحدوث قصص عشق تجمع بين المسلم والمسيحية من جهة، وما يشير إليه من تشاركهما في مناسباتهما وطقوسهما الدينية: "لعثمان علاقة بهيجة بالشموع منذ كان طفلاً في المدرسة الداخلية في القدس. اعتاد أن يحمل شمعة مضيئة ويطوف في الكنيسة مع صحبه التلاميذ..." [43]، كما يشير الروائي إلى حضور المسلم طقوس التعميد في الكنيسة [44].

ب. تتجلّى مدينة القدس في الرواية مكاناً يتحقق فيه التكافل الاجتماعي بين أهل المدينة، والتوحد والتضامن أمام ما واجههم من تَحَدٍّ جديد تمثَّل في الاحتلال؛ فأصحاب الديانتين في القدس أيضاً يد واحدة أمام المَلَمّات وأمام الصراع الجديد الذي يواجهونه، فعدوهم واحد ومصيرهم في القدس واحد، وفعل المقاومة فعل مشترك يجمعهم ولا يفرقهم، "كان عثمان يتجول في أسواق المدينة وهو مرتاح للمشي تحت المطر. حدّث المختارَ عن مسيرة نسائية خرجت في القدس احتجاجاً على سياسة حكومة الانتداب. اتجهت المسيرة إلى مسجد عمر، وهناك ألقت امرأة مسيحية فلسطينية، هي متيل مغنم، كلمة من على منبر المسجد، ثم خرجت المسيرة واتجهت إلى القبر المقدس، وهناك ألقت امرأة مسلمة فلسطينية، هي طرب عبد الهادي، كلمة أمام القبر..." [45]. وكذلك تمثَّل في النهوض بأعمال ونشاطات وطنية مشتركة؛ "نقلوا إليه أخبار واصف جوهرية، أحد أبناء المدينة، الذي كان موظفاً في إحدى دوائر حكومة الانتداب. لم تمنعه الوظيفة من مواصلة التعبير عن موقفه الوطني، وعن رفضه للاحتلال الانجليزي وللهجرة الصهيونية إلى البلاد. تعزز موقفه هذا بتشكيل جمعيات إسلامية - مسيحية في القدس وفي غيرها من مدن فلسطين" [46].

ج. كذلك يطرح الروائي صورة لأصحاب الديانتين بوصفهما أبناء ثقافة واحدة، وبكونهما مَعْنِيّين بالعلم والمعرفة ونشرهما؛ فعثمان "حفظ اسم بندلي الجوزي وصار يأتي على ذكره كلما جاء رجال القرية إلى حانوته، أكد لهم أن بندلي الجوزي مُطَّلِع على الثقافة الإسلامية، وأن للمسيحيين الفلسطينيين دوراً كبيراً في نشر العلم والمعرفة في فلسطين" (47).

المبحث الرابع: القدس مركز المَدَنِيَّة والتقدم والحضارة:

عمد الروائي في (فرس العائلة) إلى رسم صورة حضارية للقدس تتصل بوصفها مركز العلم ومصدره، وحاضنة الفن والطرب، وموطن الحداثة والاختراعات، ما يجعل منها مدينة حقيقية تمور حياتها الاجتماعية اليومية بالتفاصيل التي نجدها في سائر المدن العالمية الكبيرة، ويقدم ذلك بوصفه ميزة للمدينة تفتقدها البرية، ويمكن تأمل ذلك من خلال ما يلي:

أ. مظاهر العلم والتعليم كما تجلّت في الرواية، وجاءت في مرحلتين:

المرحلة الأولى: لم يكن ثمة وعي بأهمية العلم والتعليم عند الجيل الأول والثاني في البرية "عبد الودود كانت له علاقة بالمدينة منذ الطفولة، ولم تدم هذه العلاقة طويلاً. جاءت بعثة دينية إلى مضارب العشيرة، مكونة من ثلاثة رجال وامرأتين. اقترحت البعثة على العشيرة أن تعلّم بالمجان خمسة من أطفالها في مدرسة تشرف عليها في القدس، لم ترسل العشيرة سوى ثلاثة أطفال..." (48).

المرحلة الثانية: ظهر الوعي بأهمية العلم والتعليم وتغير موقف أبناء الجيل القديم من التعليم، وصار هناك حسرة لعدم حصولهم على العلم في الزمن الماضي، وإضاعتهم لفرص التعلم التي أتيحت لهم آنذاك: "عثمان لم يتعلم كثيراً في المدرسة، إلا أن اختلاطه بتجار المدينة وبالمتعلمين فيها علمه أشياء غير قليلة. قرر منان أن يلازم المتعلمين وألا ينفر منهم، ولا -بالتالي- من الخطيب عبد القادر الذي علّم في المدرسة سبع سنوات، ...، لم يعد الخطيب عبد القادر غريباً عن القرية، أصبح مع الزمن واحداً من رجالاتها الذين يحظون بالاحترام، جرّاء إخلاصه في تدريس أبنائها وتعليمهم العلم الصحيح" (49). فحين عاشوا على مشارف القدس بدأ أبناؤهم بالالتحاق بالمدرسة التي أسسها أحد المعلمين القادمين إلى القرية واسمه عبد القادر وصار لديهم اهتمام بالعلم والمعرفة، وبعضهم ألحق بناته بمدرسة الأولاد لتعذّر بناء مدرسة للبنات -كما تقدّم-.

ب. مظاهر الفنّ والطَّرَب:

كان في مدينة القدس الكثير من مظاهر المدنية والحضارة التي يعكسها حضور الفنون الأساسية في ذلك الزمن كالسينما والمسرح، فتمَّ استقبال أشهر الفنانين في الوطن العربي

ليقدموا حفلاتهم في القدس، إذ كانت تستقطب الكثير من الجماهير فتضجّ المدينة بالحياة والحيوية، رغم رزوحها آنذاك تحت نير الانتداب البريطاني بعد رحيل الأتراك، ويصف الروائي ذلك بقوله: "أخبروه أن القدس، رغم الاحتلال، كانت مقبلة على مباهج الحياة بعد رحيل الجيش التركي منها. كثرت فيها المسارح ودور السينما، وزارها الأدباء والمطربون من مصر ولبنان وغيرهما من الأقطار العربية،"[50]، فتتجلى هنا مظاهر المدينة الصاخبة المتفاعلة مع الحياة ومباهجها ومسرّاتها الليلية، المقاوِمة لمسببات الانكفاء واليأس والتخلّف، ومن أمثلة ذلك استقطاب المدينة لمشاهير الغناء آنذاك؛ "وذات مساء، دخلا قاعة استمعا فيها مع حشد من الرجال والنساء إلى مطربة اسمها أم كلثوم وهي تغني (قال لها زوجها إن أحد التجار حدثه عن زيارة لها للقدس غنت فيها أجمل أغانيها)"[51].

ج. مظاهر الحداثة والمَدَنيّة والاختراعات الصغيرة:

ويمكن تلمُّس مظاهر الحداثة والاختراعات التي طرحها الروائي بوصفها مفردات تتصل بالقدس وتجعلها مُباينة لغيرها من الأماكن، فيما يلي:

أولاً. استيراد الملاعق من القدس:"... سألوا عن ملاعق، سارع أحد أبناء الحاج محمد، لإحضار ملاعق كانت مهيرة اشترتها من حانوت للأدوات المنزلية في القدس" [52].

ثانياً. استيراد بابور الكاز - الذي غيّر نمط الطبخ - من القدس: "عاد من المدينة ذات مساء، وعلى ظهره كيس، وفي يده تنكة من صفيح، اقترب من مضارب العشيرة، واتجه إلى الساحة، ...، أخرج جسماً معدنياً من نحاس، له ثلاثة أرجل، ...، اقتربت صفية وهي إحدى زوجات المختار منّان وراقبت عثمان بفضول. قال لها: هذا بابور كاز يا صفية، يغنيك عن الطبخ على نار الحطب..."[53].

ثالثاً. إحضار الشاحنة - التي سهلت عملية نقل البضائع - من القدس: "عاد من المدينة قبل الغروب، عاد هذه المرة في شاحنة صغيرة دخلت القرية ببطء فوق الطريق الترابية التي جرى شقّها قبل أشهر..." [54].

رابعاً. إحضار اللوكسات - التي أنارت المضارب وسهلت معيشة الناس فيها - من القدس: "من بين السلع التي أحضرها: اللوكسات ذات الضوء العالي وهي تنفع لليالي السهر في المآتم وفي الأعراس. أحضرها إلى راس النبع وهو يتذكر أجداده الأوائل. تأسّى على ما قاسوه من شظف العيش حينما لم تكن لديهم وسائل إضاءة كافية، ..." [55].

خامساً. إحضار المِرآة من القدس؛ فلم تكن نساء البرية بمكنتهن أن يرين وجوههن إلا في انعكاسها في الماء، فبحضور المرآة ظهرت ثقافة جديدة تتصل بتأمل المرأة لذاتها ووعيها لتفاصيل جسدها (56).

سادساً. إحضار الشموع من القدس إلى راس النبع لتوضع في زوايا البيوت؛ "لتنشر ضوءها الناعم الذي يحاكي القمر، فتجعلها مريحة للأعصاب" (57). مما أذن بالبدء بتغير الثقافة وتنوع معايير الراحة وأدواتها، وأيضاً بوصف الشموع الوسيلة الاحتياطية في حالة انكسار مصباح البيت أو تعذُّر شرائه، أو للدراسة عند الطلاب الجادين أو لأعياد الميلاد (58).

سابعاً. إحضار الحصيرة - لفرش البيوت بأقل التكاليف – من القدس: "آخر سلعة أحضرها هي الحصيرة المصنوعة من قشّ متعدد الألوان، أحضر في شاحنة صغيرة عدداً غير قليل من الحصر، جاء رجال ووقفوا أمام الحانوت، وجاءت نساء، وراح عثمان يفرد أمام الجميع واحدة منها، وهو يقول: افرشوا بيوتكم بأرخص الأسعار" (59).

ثامناً. إحضار ألعاب للأولاد من القدس: كالمسدس، والبلبل، والزمّارات، والسيارات؛ وكان ذلك مظهراً من مظاهر تأثير المدينة (60).

تاسعاً. التعرُّف على آلة التصوير في القدس؛ إذ بدأوا -إثر ذلك- يتوجهون إلى حانوت التصوير لالتقاط الصور التي كانت مَحَطَّ حديث العائلة ودهشتها (61).

المبحث الخامس: القدس زمن الانتداب البريطاني، والثورة وما بعدها، وظهور العصابات اليهودية.

يفرد الروائي مساحة من روايته لرسم صورة للزمن الذي تلا الحكم العثماني، إذ تعرض الرواية لواقع الحياة وأحوال القدس السياسية إبّان الانتداب البريطاني وقبيل النكبة؛ فترسم صورة الاحتجاجات التي لم تتوقف منذ أن دخل الإنجليز البلاد. وتصف بعض ملامح الثورة الفلسطينية وما بعدها، وتضيء مشاعر شخصيات الرواية الذين تألموا لإقدام سلطات الانتداب البريطاني على إعدام ثلاثة من أبطال ثورة البراق في العام 1929 التي اندلعت في القدس وحيفا ويافا وصفد، وهم محمد جمجوم وعطا الزير وفؤاد حجازي. كما ترسم صورة لزمن ظهور العصابات اليهودية: "لم تتوقف الاحتجاجات منذ أن دخل الإنجليز البلاد. تابع المختار ما يجري على نحو متقطع، يصغي إلى ما يأتي به عثمان من أخبار يلتقطها من أفواه التجار في المدينة، ويستخلص النتائج في ضوء ما يصل إليه من معلومات، وهو ما زال متألماً لإقدام سلطات

الانتداب البريطاني على إعدام ثلاثة من أبطال ثورة البراق، ..." [62]. لقد غدو جزءاً من الحدث يتأثّرون بما يجري ويتفاعلون معه ويتعاطفون، ويتمظهر ذلك فيما يلي:

أ. يصف الروائي المسيرات والمظاهرات التي أخذت تظهر إبان الانتداب البريطاني وقبيل النكبة لكلا الجنسين احتجاجاً على سياسات حكومة الانتداب.[63] كما يقف عند تطور القلق من الأوضاع السياسية والاضطرابات واستصدار مذكرات احتجاج على المندوب السامي، وأثر رؤية النسوة لعسكر الإنجليز من خوف يدفعهن للاستجارة بالرسل والأولياء الصالحين لإنقاذهم من شرورهم[64].

ب. يوظف الروائي بعض الأحداث البارزة في ظل الثورة الفلسطينية من مثل استشهاد عز الدين القسام؛ وأثر الأحوال السياسية على عشيرة العبد اللات، حيث نقل عثمان الخبر فأخذوا يتداولونه متأثرين به: "كان عثمان أحضر معه من المدينة خبراً مفزعاً عن استشهاد الشيخ عز الدين القسام وهو يقاتل عسكر الانجليز في أحراش يعبد، لم يكن منان سمع باسم هذا الشيخ من قبل، عثمان أكد له أنه أقام في حيفا ودعا إلى الثورة وهو يؤمّ الناس في جامع الاستقلال، وانضمت إليه جمهرة من الفلاحين الفلسطينيين. عسكر الإنجليز حاصروه هو وأنصاره في الأحراش واشتبكوا معهم وأنزلوا بهم هزيمة قاسية، ويوم استشهاده كان باعثاً على الحزن في كل أنحاء البلاد..." [65].

ج. من ناحية أخرى تبرز الرواية توحد القوى السياسية والأحزاب في الثورة رغم خلافاتها السابقة، وانخراط أبناء العشيرة في الثورة، والاستنكار على بعض قادة الثورة غموضهم، فنقرأ في الرواية: "ذهل منان وأبناء العشيرة لتواتر الأخبار، وعرف عثمان أن كل القوى السياسية والأحزاب توحدت رغم خلافاتها السابقة في الهيئة العربية العليا، بقيادة الحاج أمين الحسيني، وتكاثرت دوريات عسكر الإنجليز بعضها فوق الخيول، وبعضها الآخر في كتل صماء من الحديد المصفح فوق عجلات تثير غباراً كثيفاً في الطريق الترابية التي تصل القرية بالمدينة..."[66]. وتشير إلى توطد علاقة عباس بالثورة بعد لقائه بمفتي القدس والديار الفلسطينية الحاج أمين الحسيني، وكذلك منان وعدد من أبناء عشيرة العبد اللات [67]. كما ترسم الرواية صورة واضحة لمدينة القدس قبيل النكبة؛ كيف غدت الأوضاع قَلِقَة ومُقَلْقَلة، أخذ عسكر الإنجليز يضاعفون المداهمات إلى البيوت، ويسألون عن الثوار، ويقبضون على الأفراد، وازدادت الإضرابات، وانخراط أبناء العشيرة في الثورة فقد انتموا إلى المكان والقضية: "مضت الشهور والثورة مستمرة،

وازدادت معاناة الناس من بطش عسكر الانكليز والعصابات الصهيونية المسلحة، وكان أحد قادة الثورة واسمه عبد القادر الحسيني ينشط في جبال القدس،" [68].

د. بينما تبرز الرواية توحد القوى السياسية والأحزاب في الثورة رغم خلافاتها السابقة، وانخراط أبناء العشيرة في الثورة، إلا أن الروائي لا يغفل عن رسم منحى آخر للقدس والتحولات التي حدثت فيها ما بعد الثورة؛ إذ رسم مشهداً لانقلاب العائلات المقدسية بعد الثورة (تحولات في القدس):"تلك السنة، انتهت الثورة وعانت البلاد من آثار الانقسام الذي نشأ بين العائلات المقدسية، وكذلك بين الأحزاب السياسية، وترك آثاراً مدمرة على البلاد والعباد، وعرف منان كيف لعبت فصائل السلام المضادة للثورة دوراً في إشاعة البلبلة، فوقعت فوضى وظهر قاطعو طرق لا هَمَّ لهم سوى سلب الناس ونهبهم، وجرت اغتيالات طالت بعض من شاركوا في الثورة، وقامت قوات الانتداب البريطاني بتصفية عدد من قادتها البارزين.." [69]. فتشير الرواية إلى مضايقات عسكر الإنجليز [70]، الذين أخذوا يداهمون المضارب بين الفينة والأخرى، يضايقون أهلها ويهينونهم ويقبضون على الثوار منهم [71]، ثم تفرد الرواية إشارات لبداية المواجهات مع العصابات الإسرائيلية [72].

ملاحظات نقدية عامة على رواية (فرس العائلة):

-يوظف الروائي الموروث في الرواية، فكما تحفل هذه الرواية بتمثيلات واقعية من وحي الحياة الاجتماعية اليومية لعشيرة بدوية تمور أيامها ولياليها بتفاصيل تمثل أسلوب حياتهم بما فيها من عادات تشي بوجود مجتمع متجذر في أرضه له عوالمه وطقوسه الثابتة منذ أجيال سابقة، وله فعله الجماعي وفكره الجمعي الذي ينتقل من جيل إلى جيل، فإن الروائي يؤثث روايته باستثمار الكثير من طقوس الناس وعاداتهم كما يوظف موروثهم، مما يمنح الحدث والشخصيات حيوية ودرامية، ويقربهم من واقعية الحياة. فالرواية تقف عند أرض مسكونة لها شعبها المستقر الثابت، فتمثل سردية طباقية مضادة لسردية احتلال يحاول قلب الحقائق وتقديم واقع مزيّف يبرر فيه احتلاله ويرسم كذبة تقول بأن أرض فلسطين بلا شعب. ويمكن تمثيل عدد من موروثات هذه العشيرة البدوية قبل وبعد الاحتكاك بالقدس **بطقوس الزواج**؛ **إذ** تقدم الرواية طقوساً بدائية لطلب الزواج والموافقة عليه أشبه بالوثنية [73]. وهي طقوس وعادات متجذرة لدرجة أن العشيرة لم تكن تتقبل من يأتي إلى البرية كي يغيّر منها مثل الخطيب الذي سرعان ما رحل عنها [74]. ومن الطقوس كذلك **طقوس في القدس تقام في الأعياد الدينية ومواسم الأنبياء** مثل: موسم النبي موسى حيث يتجلّى تفاعلٌ مجتمعيٌ كبيرٌ يتمثل في طقوس من الحركة والأفعال والأقوال

والأطعمة وتبادل الأفكار ما يشي بمجتمع متكامل منصهر، يمارس حياته كاملة من غير نقصان [75]. وكذلك **طقوس تقام في مناسبات التعميد في الكنيسة** بتفاصيلها [76].

-لغة الروائي في عمومها لغةٌ سردية هادئة، غير استعلائية ولا صاخبة ولا استعراضية، وليست لغةً نادبةً أو رثائيةً، بل لغة موائمة لمنح المشهد حقه دون مبالغات لغوية جمالية؛ فقد استخدم الروائي في عمومها اللغة الفصيحة التي يتخللها المحكي كاللهجة البدوية في بعض مواطن الحوار [77]، فبدت الأحداث أكثر واقعية، واكتسبت مصداقية مِنْ تناسب اللغة التي تستخدمها الشخصيات في خطاباتها مع مستواها الثقافي والاجتماعي، دون إخلال أو تَرَدٍّ لغوي.

-يتولّد السرد في ثنايا الرواية من السرد، وتَنْبُتُ الحكايا من بعضها وتتناسل راسمةً مجتمعاً بدوياً متكاملاً، وعالماً يبدو إلى منتصف الرواية منغلقاً على ذاته مكتفياً بها، حتى يزداد احتكاكه بمدينة القدس في نصفها الثاني فيبدأ التحول فيه على المستويات كافة. وتغتني الرواية - إضافة إلى الحكايا - بالأغاني الشعبية والخرافات من مثل قصة الغولة [78] التي صورها الروائي بوصفها جزءاً من الوجدان الشعبي وصائغاً مهماً لأرواح الناس، كما استثمر الفنتازيَّ والعجائبيَّ لإثراء السرد الروائي، وقدم طفلاً وُلِد بأُذُنَي حصان سمّته العشيرة أدهم. وقدّم وصفاً شيّقاً عن ليلة النار وليلة الذئاب [79]، ويوم السيل [80]، وليلة الحناء [81]. وأفاد من فكرة الكرامات الصوفية؛ فالنعش في الرواية يطير [82].

-فيما يتصل بشخصيات الرواية، تحفل الرواية بنماذج نسائية وذكورية متميزة؛ ففي الجانب النسائي ترد النساء بحكاياهن وقصص عشقهن التي تمنح الرواية حيوية وجمالية تحافظ على ميزة الإمتاع التي على السرد أن لا يتخلى عنها مهما كانت غايته أو رؤيته. وتحضر الحكايا الشعبية على لسان (صبحاء/ أم المختار منّان)، الشخصية التي قدمها الروائي كراوية للقرية وكحكّاءة للقصص القديمة والخرافات فجاءت من بين عشرات الشخصيات النسائية التي حفلت بها الرواية شخصيةً لافتة ومركزية ومميزة، وقد عاصرت أجيالاً عدة، ومراحل سياسية من الحكم التركي إلى الانتداب البريطاني ودخول العصابات اليهودية، فرصد الروائي بشخصيتها مشاهد تتصل بأحلامها ورؤاها ونبوءاتها، مراوحاً بين السرد والحوار وبين الفصحى واللهجات. ومن الشخصيات الذكورية تطرح الرواية نماذج متنوعة المشارب مما يغنيها ويعمّقها ويجعلها أقرب إلى الواقعية، من مثل: أولاد منّان: يوسف التحق بالثوار وسجن في سجن عكا، ومحمد الكبير الذي تقلّب في أحوال عديدة ثم وقع في حب امرأة مسيحية، وأدهم الذي اتصف بالحكمة والذكاء،

ووَطَّاف الذي كان صاحب قوة وجبروت، كما تقدم الرواية صوراً من تمرد بعض الشخصيات على العشيرة. وقد استكمل الروائي محمود شقير حَيَواتِ عدةِ شخصيات، خصوصاً الشخصيات المركزية في الرواية، ما جعل الرواية تأخذ شكلاً دائرياً، وأغلقها بشكل معقول.

-اعتمد الروائي على إيراد الأحلام كتنويعٍ سرديّ، يتكرر عند بعض الشخصيات، وارتبطت الأحلام على سبيل المثال بالفرس (فرس العائلة) التي تظهر وتغيب في مواقف خاصة، خصوصاً تلك المواقف التي تُنبئ بأحداثٍ جِسام، فهي تظهر بوصفها رمزاً أو نبوءةً للقادم من الأوقات العصيبة. كما كثر ظهورها في الأحلام، وكثيراً ما ظنّ أفراد العشيرة بأنها جِنيّة، مما يشي بتداخل العوالم في بعض مظاهر حياة هؤلاء الأفراد كتداخل الإنسيّ بالجنيّ.

-أفاد الروائي من التاريخ، فحاول تسريده على نحو يحافظ فيه على بنية الرواية وحيويتها وجمالياتها، ولم يكتفِ شقير بكونه ابن القدس وثقافتها وتاريخها الممتد، بل أفاد من مصادر تاريخية وشعرية وكُتُب مذكرات وحكايا وأساطير شعبية وغيرها - ولقد أثبت شقير مسرداً فيها في نهاية روايته - ما يشي بأن الاكتفاء بالاعتماد على معايشة المكان ومقاربته الحميمة تظل أيضاً ناقصة دون قراءات تضيء درب الأديب حول ما يكتبه، وتؤثثه بالمعرفة، وتمنحه عيناً أو زاوية نظر أخرى. وقد حقق شقير توازناً في روايته بين ما هو فني جمالي وما هو تاريخي واقعي. إضافة إلى ذلك فقد استثمر فكرة التأريخ باستخدام أحداث واقعية واجهتها العشيرة، ففي الماضي كانت تؤرَّخُ الولادةُ وغيرُها من الأحداث، من خلال الوقائع الفارقة في تاريخ العشيرة من مثل: سنة الجراد وليلة النار وليلة الذئاب ويوم السيل وليلة الحناء ويوم السيل، ما يجعل الحكايا تتوالد من بعضها البعض في بناء ملحمي درامي (83).

-لم تحضر مدنٌ فلسطينية أو تُذكر في (فرس العائلة) إلا بإشارات عابرة؛ فنجد أن الرواية انشغلت بمدينة القدس ومشارفها وسكانهما على نحو أغلق إلى حد ما تماسّها مع باقي المدن والمجتمع الفلسطيني خارجها، فكأنما تنكفئ المدينة بثقلها الاجتماعي والديني والتاريخي على نفسها وتنغلق على ذاتها، إلا أننا إذا وسّعنا المنظورَ أكثر نجد أن القدس في نهاية المطاف هي امتداد للمشهد الفلسطيني، وما عشيرة العبد اللات المتخيلة التي بنى الروائي حكايته عليها إلا أحد تمثيلات الإنسان والمجتمع الفلسطيني الكبير.

-لم يقدم الروائي العشيرة البدوية كفئة بشرية منقطعة؛ فرغم احتفائها بعاداتها وطقوسها ونظام حياتها الذي يميزها عن غيرها إلا أنها بدت قابلة للتأثر بمن يتسنّى لها الاختلاط بهم، فقد اختلطت بأنماط من الناس المختلفي الانتماءات والمشارب وبفئات بشرية متنوعة. ورصدت

الرواية طقوسَ العشيرة وعاداتها ومِهَن أفرادها وأدواتهم وأساليبهم وحكاياهم ومفاهيمهم حول الكون، وكذلك مَنْ تأثرتْ بهم كالعرّافين والغجر وتزوجت منهم [84]، مما أثرى الرواية ومنحها طبقات ثقافية متعددة؛ فالروائي قدم صوراً جلية لأشكال التأثر والتأثير بين البرية والمدينة في مختلف المستويات.

خاتمة:

شكَّلتْ مدنٌ كثيرةٌ موضوعاً مركزياً جاذباً للكتابة الروائية، وتعدّ مدينة القدس إحدى تلك المدن التي شغلت عدداً من الروائيين، كالأديب الفلسطيني محمود شقير، الذي كَرَّسَ جزءاً كبيراً من منجزه السرديّ للكتابة عن القدس، ومنه روايته (فرس العائلة) التي بدتْ فيها مدينةُ القدس مكاناً مركزياً يتطلع أبطالُ الرواية القاطنين على مشارفها إلى مقاربتها والإفادة منها بوصفها مؤثّراً ومرجعية ومصدراً لمفردات حياتية شتّى، كما تجلّت مدينةً حيويةً مَوّارةً بالحياة جاذبةً لتفاعل سكانها اليومي معها والمشاركة في مواجهة التحديات التي تحيط بها؛ خصوصاً في مرحلة الثورة الفلسطينية ودخول العصابات الصهيونية حيث الصراعات التي ما انفكَّتْ تهدد سكينةَ المدينة الأليفة التي يتجاور فيها الناس - على اختلاف رؤاهم وتوجهاتهم الدينية والسياسية - ويتوافقون على عدوٍّ واحد يعمل جاهداً على انتزاعهم من أرضهم الحافلة بوجودهم التاريخي والحضاري والإنساني ساعياً إلى إحلال ذاته تحت مِظلّة ادّعاءات مزيّفة.

وبعد هذا التطواف في شبكة العلاقات الاجتماعية والتحوّلات التي انتظم بها مجتمعُ الرواية وتعالقَ عبرها بمدينة القدس، وما تجلّى عن ذلك من دلالات اجتماعية إنسانية ظاهرة وأخرى عميقة، نخلص إلى أهمية الروايات التي تتناول الحياة الاجتماعية في القدس وما حولها، ومدى حاجة السردية العربية لإعطاء القدس حقَّها في المعالجة الاجتماعية والثقافية والسياسية، فضلاً عن أهمية معايشة الكاتب للمكان، وأثر ذلك في إنتاج إبداع مغاير يليق بالمكان المكتوب عنه؛ فرواية (فرس العائلة) رواية مثقَّفة ومثقِّفة فيها إضاءات متنوعة كتبها محمود شقير بعين العارف الذي تَماسَّ مع المكان تماسّاً اجتماعياً إنسانياً حميماً، وقد قُدمت القدس في الرواية بوصفها عنصراً محورياً من خلال تمثيل حياة الناس وارتباطهم بها، وتجلّى استخدام الروائي لأدواته الفنية وتفاعله الوجداني والحقيقي مع المكان، متمكّناً من التماهي به وعكس روحه الاجتماعية وكل الرمزية التي يحملها على الواقع.

بالمقابل فإن كثيراً من الروايات العربية الأخرى حاولت تمثيل القدس من خلال حركة الشخصية الرئيسية فيها -مثلاً- معبّرة عن نضالاتها، ومنها ما وقف عند مكان محدد في القدس كحيّ أو حارة أو سوق، وثمة منها ما مثّل مدينة القدس من بعيد مجازياً عبر المتخيَّل ودون المقاربة الواقعية للمكان. وقد يعود هذا التنويع في تمثيل القدس في الروايات العربية لاختلاف مدى تماسّ السارد مع المدينة المكتوبة وموقعه منها؛ إذ إن المبدع جزء من مجتمعه وبيئته وظرفه وعصره وسياقه التاريخي، وموقع السارد من المدينة يؤثر على العمل الإبداعي. من جانب آخر نجد روايات تكتب عن مدينة القدس فتبدو المدينة في بعضٍ منها منفصلة أو مفصولة عن المشهد الفلسطيني عامة، في الوقت الذي هي فيه امتداد للمشهد الفلسطيني العام. وتحتاج هذه الروايات بأطيافها المختلفة إلى مقاربات وقراءات عديدة لمعرفة مدى نجاحها في تقديم القدس للقارئ.

لا يستطيع الروائي بوصفه فناناً إلا تمثيل المدينة رمزياً، لكنْ ثمة دور واقعي على الصعيد العملي لا ينهض به الفنانُ عادةً، لذا لابدّ من توازنٍ بين الفعل والتمثيل الرمزي لمدينة القدس التي غدت في تاريخها وبرمزيتها الهائلة مجازاً بحدِّ ذاتها وكلمةً تاريخيةً ومقدّسةً تحتاج أن تُكتب، ومع ذلك فما زالت المدونة السردية العربية ناقصة فنياً وجمالياً فيما منحته للقدس من معالجات في مناحيها الاجتماعية والثقافية والسياسية، وما زالت بحاجة إلى كتابة الرواية التي تستحقها هذه المدينة وتليق

بما تشكله من حضور فاعل له دوره المركزي في سرد الحكاية الفلسطينية، ويتواءم مع استحقاقاتها التاريخية والاجتماعية والثقافية والحضارية والفكرية والجمالية؛ لتقف بصلابة أمام السردية الغربية المزيّفة.

المصادر والمراجع:

[1] . مصطفى الكيلاني، **الرواية والتأويل: سردية المعنى في الرواية العربية**، دار أزمنة، عمّان، 2009، (ط1)، ص54.

2 . محمود شقير، **أنا والكتابة: سيرة أدبية**، دار لوسيل، قطر، 1918، (ط1)، ص 127. يقرّ محمود شقير أنه رغم محاولاته التعبير عن القدس فيما كتبه من قصص في خمسين عاماً، إلا أنها لم تُكتب على النحو الذي تطلّع إليه، بل لم يتمكّن من امتلاكها. انظر: محمود شقير، **قالت لنا القدس: نصوص. يوميات. شهادات**، وزارة الثقافة الفلسطينية، فلسطين، 2010، (ط1)، ص 184.

3 . رزان إبراهيم، مقالة بعنوان: (المجتمع المقدسي قبيل النكبة: قراءة نقدية ثقافية لرواية إبراهيم السعافين ظلال القطمون)، ضمن كتاب: **القدس في الرواية العربية**، الدار الأهلية، عمّان، 2023، (ط1)، ص 99.

** ملاحظة: ثمة دراسات وأبحاث وكتب وقفت عند عدد من الأعمال الإبداعية التي اتخذت من مدينة القدس أو جانب من جوانبها مركزاً أو ثيمة أساسية، ومنها:

. حسن عليان، القدس: **الواقع والتاريخ في الرواية العربية**، دار البركة، عمّان، 2012.

. عبد الله الخباص، **القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن**، دار النفائس، عمّان، 1995، (ط1).

. علي حسن خواجة، **القدس في الرواية العربية بعد أوسلو، نماذج مختارة**، مؤتمر الأدب الفلسطيني بعد أوسلو، منشورات جامعة الخليل، 2010.

. كمال أحمد غنيم، **تجليات القدس في رواية الدكتور نجيب الكيلاني (عمر يظهر في القدس)**، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة مايو 2011.

4. غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، وزارة الثقافة، عمّان، 2020، ص 31.

5 . محمد يوسف، **نحو ملحمة روائية عربية**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1991، ص 11.

6 . قاسم عبده، **بين الأدب والتاريخ**، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص 11.

7 . ميلان كونديرا، **فن الرواية**، ترجمة بدر الدين عرودكي، الأهالي للطباعة، دمشق، 1999، ص 48.

8 . انظر: احمد الطريبق، **القدس صورة المعالم والتحولات**، عمّان، مؤسسة عمّون للدراسات والنشر، 2002، ص 1.

9 . إنريك أندرسون إمبرت، **مناهج النقد الأدبي الحديث**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1991، ص117.

10 . صلاح فضل، **مناهج النقد المعاصر**، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002، (ط1)، ص 46.

11 . يوسف وغليسي، **مناهج النقد الأدبي**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، (ط1)، ص 15.

12 . صلاح فضل، **مناهج النقد المعاصر**، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002، (ط1)، ص 45.

13 . محمود شقير، **رواية (فرس العائلة)**، نوفل دمغة الناشر هاشيت أنطوان، بيروت، 2013، ص 16. ملاحظة: أينما ورد اقتباس من الرواية فسيُكتَفى بإيراد لفظة (الرواية) وأرقام الصفحات المقتبس منها.

14 . **الرواية** ص 30.

15 . **الرواية**، ص 139، 149.

16 . الرواية، ص 144. ملاحظة: موقف مثيلة كان ملتبساً، ففي البداية، وافقت على الرحيل وقالت: يقطع البرية ويومها. ثم عادت واعتبرت الرحيل نوعاً من عدم الوفاء للمكان الذي ولدت فيه، وبعد فترة من التمنع وعدم الرضا رضيت بالرحيل، أما موقف الأم فقد اختلف عن موقف الزوجة إذ لم ترقها كلمة الرحيل، فالزوجة والأم تمثلان جيلين يختلفان في التعالق مع المكان والارتباط الحميمي به، فالبرية عند الأم تمثل المكان الأول، لذا نجدها نفسياً تحتار بينه وبين مكان لاحق تضطر للانتقال إليه.

17 . **الرواية**، ص 144.

18 . **الرواية**، ص 143.

19 . انظر: **الرواية**، ص 145.

20 . **الرواية**، ص 145.

21 . **الرواية**، ص 146.

22 . **الرواية**، ص 146.

23 . **الرواية**، ص 146.147.

24 . **الرواية**، ص 148.

25 . انظر: **الرواية**، ص 148.149. ورأس النبع هي تسمية غير واقعية، أطلقها الروائي على منطقة قرب القدس لمزيد من التخييل الفني وابتعاد عن ذكر بعض الأماكن بمسمياتها المتعارف عليها.

26 . **الرواية**، ص 155.

27 . **الرواية**، ص 146.147.

28 . انظر: **الرواية**، ص 277، 278، 282.

29 . انظر: **الرواية**، ص 284 وما بعدها.

30 . انظر: **الرواية**، ص 159.

31 . انظر: **الرواية**، ص 244، 246.

32 . انظر: نماذج من الرواية، ص 157، 163.

33 . **الرواية**، ص 163.

34 . **الرواية**، ص 31.

35 . **الرواية**، ص 32.

36 . **الرواية**، ص 41.

37 . **الرواية**، ص 112.

38 . انظر: **الرواية**، ص 60.

39 . انظر: **الرواية**، ص271.

40 . عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد**، عالم المعرفة 240، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون أول، 1998، الكويت، ص 150.

41 . عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية**، المرجع السابق، ص 157، 158.

42 . **الرواية**، ص 58.57.

43 . **الرواية**، ص 175.

44 . انظر: **الرواية**، ص 274، 276.

45 . **الرواية**، ص 152.151.

46 . **الرواية**، ص 171.

47 . **الرواية**، ص 159.

48 . **الرواية**، ص 66.

49 . **الرواية**، ص 161.

50 . **الرواية**، ص 173.

51 . **الرواية**، ص 294.

52. **الرواية**، ص73.
53. **الرواية**، ص 83.84.
54. **الرواية**، ص 160.
55. **الرواية**، ص 160.
56. انظر: **الرواية**، ص 169.
57. **الرواية**، ص 175.
58. انظر: **الرواية**، ص 176.
59. **الرواية**، ص 187.
60. انظر: **الرواية**، ص 188، 189.
61. انظر: **الرواية**، ص 207.
62. **الرواية** ص 139. ثورة البراق هو الاسم الذي أطلقه الفلسطينيون على اشتباكات عنيفة اندلعت في مدينة القدس في التاسع من أب عام 1929 أيام الانتداب البريطاني على فلسطين.
63. انظر: **الرواية**، ص 151.
64. انظر: **الرواية**، ص 173.
65. **الرواية**، ص 194.
66. انظر: **الرواية**، ص 198.
67. **الرواية**، ص 199.
68. **الرواية**، ص 226.
69. **الرواية**، ص 232.
70. انظر: **الرواية**، ص 70، 106، 107.
71. انظر: **الرواية**، ص 125، 126، 137.
72. انظر: **الرواية**، ص 302.
73. **الرواية**، ص 51.
74. انظر: **الرواية**، ص 140.
75. **الرواية**، ص 178.179.
76. انظر: **الرواية**، ص 276.
77. انظر: **الرواية**، ص 171، 270.
78. انظر: **الرواية**، ص 171.
79. انظر: **الرواية**، ص 61.
80. انظر: **الرواية**، ص 171.
81. انظر: **الرواية**، ص 210.
82. انظر: **الرواية**، ص 47.
83. **الرواية**، ص 176.
84. انظر: **الرواية**، ص 48، 228، 262، 268.